قال العلماء: توحيدُ الأسماء والصفات يقوم على ركنيين، وهي خلاصة التوحيد:

١- إثبات الكمال في أسماء الله ﷻ وصفاته وأفعاله.

٢- تنزيه الله ﷻ عن كل النقائص التي تنافي كماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

ومن رحمة الله بنا أنه: أرشدنا إلى كيفية تنزيهه، وذلك بتسبيحنا له، قال ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب:٤٢].

سُبحان مَنْ هُوَ لا يزال مُسَبِّحًا ... أبدًا وليس لغيره السبحان

سبحان مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرقُ الرِّضا ... منه وفيه الرُّوحُ والرَّيْحَانُ

وكان رسولنا ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» أخرجه مسلم.

والتسبيح في اللغة هو: التنزيه، (سبح الله) أي: نزهه، وبرأه من كل

عيب.

فربُّنا ﷻ منزَّه عن كل عيب ونقص وسوء، فله الكمال المطلق ﷻ.

❐ أنت أحق..

الكون كله معبد، كل من فيه يسبح الله ﷻ، وهو أعظم ما يعبد الله به.

فهؤلاء أهل السماء من الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[البقرة:٣٠].

ولا شيء في الكون إلا وهو يسبح خالقه، وتتجاوب جنباته بالتسبيح لخالقه؛ إلا كفرة الإنس والجن.

فالله ﷻ قال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء:٤٤].

وهو ﷻ المستحق للتسبيح؛ لكمال ذاته وكمال صفاته.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ؛ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!»[أخرجه البخاري -وهذا لفظه-، ومسلم].

الجبال والطير يسبحون الله ﷻ، والكل يسبح الله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأنبياء:٧٩]، فنحن أحق من يتوجه بالتسبيح إلى الله ﷻ.

قال بعض السلف: أما يستحيي أحدكم أن تكون راحلته التي يركبها، وثوبه الذي يلبسه؛ أكثر ذكرًا لله منه.

❐ قلوب سمعت..

لما علم أهل الصلاح بالأجور: أن التسبيح أحب الكلام إلى الله؛ تسابقوا إلى التسبيح في جميع أحوالهم، فهي الغنيمة الباردة، جاء عنه ﷺ أنه قال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[أخرجه البخاري ومسلم].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[أخرجه البخاري ومسلم].

وقال ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»، فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟

قال: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ؛ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»[أخرجه مسلم].

❐ مفاتيح السعادة:

وتسبيح الله ﷻ: من الباقيات الصالحات.

وفي التسبيح: سلوة للطائعين، وملاذ للهاربين، وملجأ للخائفين؛ فهم يعلمون أن الذي يسبحونه وينزهونه من كل عيب ونقص هو: ملاذهم في الشدة، وأنيسهم في الوحشة، ونصيرهم في القلة.

كيف لا يستجاب لأهل التسبيح وهم الذين عرفوا الله في الرخاء، فكيف لا يعرفهم في الشدة؟!

فهذا نبي الله يونس بن متى عليه السلام؛ ماذا قال الله ﷻ عنه؟ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[الصافات:١٤٣-١٤٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت الحيتان تهدأ في البحر، ولا يهدأ هو من التسبيح، وكانت الضفادع تسكن من النقنقة، ولا يسكن هو من ذكر الله ﷻ".

قال الحسن: "ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملاً صالحاً في حال الرخاء؛ فذكره الله به في حال البلاء".

قال الكرجي: "دليل على أن التسبيح والتهليل يجليان الغموم، وينجيان من الكرب والمصائب".

وجاء في الأثر: "أن العبد إذا كان صالحاً أصبح معروفًا في السماء"؛ لأن التسبيح عمل صالح، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠].

بالتسبيح يرزق العبد، جاء في «الأدب المفرد» عن النبي ﷺ أنه قال:

«.وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ»

[حديث صحيح].

❐ سبحانك!

فسبحان الله عدد ما خلق في السماء.

وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض.

وسبحان الله عدد ما بين ذلك.

وسبحان الله عدد ما هو خالق.

أمرَ الله ﷻ عباده: أن يكثروا من تسبيحه حين الشروق والغروب؛ فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾[الروم:١٧]، وقال ﷻ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب:٤٢].

ولأهمية التسبيح؛ جعل الله أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس؛ ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[يونس:١٠].

قال ابن رجب ﷺ: "والأعمال كلها يُفرَغ منها، والذِّكر لا فراغ له ولا انقضاء! والأعمال كلها تنقطع بانقطاع الدنيا، ولا يبقى منها شيء في الآخرة، والذِّكرُ لا ينقطع.

المؤمن يعيش على الذِّكر، ويموت عليه، وعليه يُبعث".

سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ أَلْسُنُ الأُمَمِ
تَسْبِيحَ حَمْدٍ بِمَا أَوْلَى مِنَ النِّعَمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ أَلْسُنٌ عَرَفَتْ
بِأَنَّ تَسْبِيحَهُ مِنْ أَفْضَلِ العِصَمِ
سُبْحَانَ مَنْ إِنْ يَشَأْ يُخْزِ المُسِيْءَ وَإِنْ
يَشَأْ عَفَا عَنْ كَبِيرِ الإِثْمِ وَاللَّمَمِ
سُبْحَانَ مَنْ مِنْهُ نَرْجُوْ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ
وَنَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ بَطْشِ مُنْتَقِمِ

جعلنا الله ﷻ من المسبحين بحمده، المؤمنين بأسمائه وصفاته، المحققين لتوحيده وتعظيمه؛ إنه سميع قريب.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[الروم:١٧-١٨].